﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لَمّا ذكرَ جزاءَ المؤمنين والكافرينَ أرْدَفَه بالمغفرةِ والعذابِ وفْقَ مشيئتِه

بعد أن أفصحَ النَّظم الكريم عن حالِ مَن نال الأجرَ العظيمَ من أهلِ البيعةِ، ومَن استحقَّ العذابَ الأليمَ من الظانّين الغاوين؛ أتبَع ذلك بما يدلُّ على نفوذِ مشيئتِه جلَّت قدرتُه؛ فإنّه يغفرُ لمن شاءَ من أولئك، ويُعذِّبُ من شاءَ من هؤلاء، على ما سبق في علمِه، لا يُسأل عمّا يفعل، وهو الحكيم العليم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللهُ المالكُ هو الَّذي يغفرُ ويعذِّبُ كيفَ شاء

يقولُ اللّه تعالى ذكرُه: وللّه سُلطانُ السَّماواتِ والأرض، فلا أحدَ يقدِرُ أيُّها المنافقونَ على دفعِه عمّا أرادَ بكم من تعذيبٍ على نفاقِكم إنْ أصرَرْتُم عليه، أو منعِه من عفوِه عنكم إنْ عفا، إن أنتُم تبتُم من نفاقِكم وكُفرِكم، وهذا من اللّه جلَّ ثناؤه حثٌّ لهؤلاءِ الأعرابِ المتخلِّفينَ عن رسولِ اللّه ﷺ على التَّوبةِ والمراجعةِ إلى أمرِ اللّه في طاعةِ رسولِه ﷺ فإنَّ اللّه يغفرُ للتّائبين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنَى الواوِ في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ﴾:

الانْتقالُ من التَّرهيبِ إلى التَّرغيب

جاءت الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ للعطفِ على ما تقدَّم من قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ فهي مِنْ سلكِ البيانِ الواحد، وجزءٌ من أجزاءِ القولِ المأمورِ به، لا مستأنَفٌ على جهةِ الانفصال. وفي هذا الانتقالِ البديعِ تلوينٌ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 215.

في الخطاب، ومزجٌ بين التهديدِ والترغيب؛ إذ لمّا خوَّفهم أوَّلًا بقوله: ﴿فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾، أردفَه بهذه الجُملة الكريمة، ليَفتحَ لهم بابَ الرجاءِ، ويُطمِعَهم في مغفرةٍ قد ظنّوا بُعدَ نوالِها، فانتقلَ السياق بهذا العطف من صَرامةِ التخويف إلى رِقَّةِ الإطماع، ومن سَوطِ التهديد إلى بساطِ الرَّجاء[1].

معنَى اللّامِ ودلالتُها في ﴿وَلِلَّهِ﴾:

المُلك الحقيقيُّ لله وحده

سيق قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لإثباتِ التفرُّدِ بالمُلكِ المُطلق، والسلطانِ التامّ؛ فاللامُ دالَّة على المِلْكِ والاختصاص: تدلُّ على الملكِ الحقيقيِّ الذي لا يشوبه نقصٌ، ولا يعتريه زوالٌ، وتدلُّ على الاختصاص فله سبحانه وحده الخلقُ والأمرُ، والتصريفُ والتدبيرُ، والأمرُ والنهيُ، والثوابُ والعقابُ، فهو المالكُ لجميع ما في السماواتِ والأرضِ مُلْكًا وخَلْقًا وتدبيرًا، بتدبيرِ شؤونِ خلقِه، لا يُمانعُه مانع، ولا يُعقِّبُ حكمَه معقِّب[2].

موقعُ جملة ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ ودلالتُه:

بيان النَّتيجة بعد ذكر المُقدِّمة

وقعت جملة ﴿يَغۡفِرُ﴾ موقعَ الاستئناف البيانيِّ مما قبلها، ودلالتُه تكمن في إيضاح جانبٍ من جوانب الملك والقدرة الإلهيَّة، فلما قدَّم النَّظمُ الكريم بذِكْر المُلك العظيم الدّالِّ على القدرة العظيمة؛ أتبعَه بذِكْر نتيجة التفرُّد بالمُلك بما يقتضيه الحال من التَّرغيب و التَّرهيب؛ فقال: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾، تأكيدًا على التَّفرُّد بالقدرة والمشيئة المُطلقة[3].

دلالةُ التعبير بالمضارع في ﴿يَغۡفِرُ﴾ و﴿وَيُعَذِّبُ﴾ في أسلوب الطباق:

اسْتمرارُ مغفرةِ اللهِ لِمَنْ ثبَّتَه ولِمَنْ تابَ وفْقَ مشيئتِه تعالى

دلَّت صيغةُ المضارعِ في ﴿يَغۡفِرُ﴾ على تجدُّدِ واسْتمرارِ مغفرةِ الله لعباده، فهو ﷻ يثبِّتُ من يشاءُ على الإسلامِ فيغفرُ له، ويغفرُ لمن يشاءُ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 131، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 166.
(2) الدُّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 139.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 306، والصّافي، الجدول: 26/ 252.

ممَّن تابَ من ذنبِه وقَبِلَ توبتَه؛ "فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمُذْنِبين، ويتجاوز عن الخَطّائين، ويتقبَّل توبة التّائبين، ويُنزل خيرَه المِدْرارَ آناءَ الليل و النهار"[1]. وكذلك في جانب المُعَذَّبين عَبَّر بالمضارع لتجديد عذابٍ واستمرارِه بعد عذاب، ومما حسَّن المعنى وزاده بيانًا مجيؤه في أسلوب الطِّباق؛ تمييزًا لأهل مغفرته من أهل عذابه.

معنَى اللّامِ ودلالتها في: ﴿لِمَن﴾:

اللّامُ في ﴿لِمَن﴾ في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ للاخْتصاص، أي: يخصُّ اللّه مغفرتَه لمن يشاءُ من عبادِه.

غرض التعبير بالاسم الموصول (مَنْ):

على القلوب أن تتجه إلى الله

عبّر بالاسم الموصول (مَنْ) ليشمل كل عاقل، وليترتب على ذِكْرِ الموصول ذِكْرُ جملة الصِّلَة لتعليق ذلك بمشيئته سبحانه، لِتَتَّجِه القلوب إليه بالدعاء وطلب العفو والمغفرة.

دلالةُ التعبير بالفعل ﴿يَشَآءُ﴾ مُضارعًا في الجانبين:

استمرارُ مشيئةِ اللهِ في مغفرته وعقابِه

جاء فعل المشيئة مضارعًا في قوله تعالى: ﴿يَشَآءُ﴾ للدَّلالة على تجدُّدِ مشيئته واستمرارِها في المغفرة والعذاب، فكلاهما لا ينفكّان عن مشيئةِ اللّه دون قيدٍ أو تعطيل، أو أن يكونَ لأحدٍ اعْتراضٌ على مشيئتِه تعالى أو إيقافٌ لها. والعطف هنا من قبيل عطف الترهيب على الترغيب جريًا على عادة النظم الكريم في الجمع بينهما إظهارًا لعدل اللّه ورحمته، وحثًّا للسّامعين على العمل الصالح والتزام طاعة اللّه وحالهم بَيْنَ الرَّجاء والخوف.

فائدةُ التَّكرار اللَّفظيِّ لـ (مَنْ يشاءُ):

تكرُّرُ لفظِ (مَنْ يشاءُ) في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ إجمالٌ للمشيئةِ وأسبابِها، فالمشيئةُ مترتِّبةٌ على أحوالِ

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 793.

العباد، والله ﷻ "إنَّما تعبَّدَهم بما تعبَّدَهم ليُثيبَ مَنْ أحسنَ ويُعاقبَ من أساء، فالمغفرةُ والتَّعذيبُ كلاهما تابعٌ لمشيئةِ الله ﷻ، وهو ﷻ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 23][1]، من غيرِ دَخْلٍ لأحَدٍ في شيءٍ منهما وجودًا وعدَمًا. وفيه حَسْمٌ لأطماعِهمُ الفارغةِ في اسْتغفارِه ﷺ لهم"[2].

المغفرةُ والتَّعذيبُ تابعانِ لمشيئةِ الله، وحَسْمُ الأطماعِ في خلاف ذلك

نكتة تقديمِ المغفرةِ على العذاب ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾:

تقدَّم ذكر المغفرةُ على العذابِ في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ لبعث الرَّجاء في النُّفوسِ تقريرًا لمعنى الإطماع، فيطمعوا في فضل الله ورحمته، ويَبتدروا إلى التوبةِ واستدراكِ ما فاتَهم، وذلك تمهيدًا للوعدِ الآتي في قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: 16]، حيْث يُرشدهم إلى التَّوبة والرجوع إلى الله، ثم يُبشِّرهم بوعوده العظيمة في قوله: ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: 16].

تقريرُ معنَى التَّشويقِ للمبادرةِ لاستدراك التَّقصير

معنَى الواوِ ودلالتُها في ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

الواو للاستئناف، وقد جاءت في مطلعِ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لزيادةِ رجاءِ المغفرةِ والرَّحمةِ وتأكيدِ وقوعِهما، وأنَّهما أقربُ من العقاب[3].

دلالةُ التعبير بفعل الكَينونة الماضي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ جاء فعلُ الكينونةِ (كان) لتحقُّقِ حصولِ ما أُسنِدَت إليه، أي: تأكيدِ مغفرةِ الله ورحمتِه لعبادِه، فضلًا منه تعالى، ووعدًا حَسَنًا من لَدُنْه ﷻ[4].

تحقُّقُ مغفرةِ الله ورحمتِه لعباده

(1) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 65، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/ 131، 26/ 166.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 159.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 166.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 166.

الغرض من التعبير بالمُسنَدِ إليه بالاسم الجليل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾:

عظمةُ الله في قدرته المستمرَّة في مغفرته ورحمته

جيءَ باسم الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ تنبيهًا على جلالِ الذّاتِ وكمالِ الصفات، ليُفاد مع عِظمِ الشَّأنِ أنَّ المغفرةَ والرحمةَ صادرتان عن إلهٍ عظيمٍ، فهو اللّه المحيطُ بصفاتِ الكمالِ، الواسعُ في عطائه، العظيمُ في رحمته.

بلاغةُ تعدُّدِ المُسنَد ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

إكرامُه بالرَّحمةِ بعد السَّترِ للزَّلّة

جيءَ باسم الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ تنبيهًا على جلالِ الذّاتِ وكمالِ الصفات، ليُفاد مع عِظمِ الشَّأنِ أنَّ المغفرةَ والرحمةَ صادرتان عن إلهٍ عظيمٍ، فهو اللّه، المحيطُ بصفاتِ الكمالِ، الواسعُ في عطائه، العظيمُ في رحمته.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"